صاحب الشفاعة والمقام المحمود ﷺ

الشفاعة رحمة من الله عز وجل لعباده في ذلك اليوم العظيم يوم القيامة، يوم الحر الشديد، والهول المديد، يوم يفر المرء من القريب والبعيد، يوم يجتمع الناس جميعهم من لدن آدم عليه السلام حتى آخر إنسان على وجه الأرض، يجتمعون في صعيد واحد للفصل بينهم، وصدور الحكم لهم أو عليهم، لا فرق بين الكبير والصغير، ولا بين الأسود والأبيض، ولا بين الحاكم والمحكوم، الكل سواسية في الموقف الطويل، والعباد ينتظرون الحساب والفصل بينهم، وقد بلغ بهم الجهد والهم والقلق مبلغا عظيما، ودنت الشمس من رؤوسهم، وتصبب العرق على أبدانهم، في مشهد لم يعهدوه من قبل، الكل يريد النجاة والخلاص، فيبحثون عمن يشفع لهم عند الملك الجبار، للفصل بينهم حين يطول الموقف على الناس، ويطلبون من الأنبياء الشفاعة بدء الحساب، وهنا تأتي رحمة العزيز الغفار عندما يأذن لنبيه الخاتم ﷺ بالشفاعة لأهل الموقف جميعا، مؤمنهم وكافرهم، بعد اعتذار الأنبياء، حيث يقوم محمد ﷺ، فيقول أنا لها أنا لها، فيخر تحت العرش ساجدا، فيحمد الله ويدعو، فيقال له: سل تعط واشفع تشفع، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه «فيأتوني، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع» متفق عليه.

قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ـ الإسراء: 79)

وهذه هي الشفاعة العظمى للنبي ﷺ يوم القيامة، وهي أعظم الشفاعات التي تجري في ذلك اليوم، وهي خاصة به ﷺ، مكرمة له من الله عز وجل، وهي المقام المحمود الذي وعده ربه، قال تعالى: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ـ الإسراء: 79)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا ـ جلوسا على الركب ـ كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» رواه البخاري.

ومما خصه الله به شفاعته ﷺ في استفتاح باب الجنة، قال ﷺ: «أنا أول شفيع في الجنة» رواه مسلم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ قال: فأقول: محمد. قال: يقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»، رواه مسلم.

أمثلة من القرآن الكريم

(إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت)

ومن الأمثال القرآنية التي توضح هذا المنحى القرآني الفريد ما جاء في قوله تعالى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ـ العنكبوت: 41).

يبين هذا المثل أن «الولاية» لأي شيء من دون الله سبحانه، هي ولاية واهية، وتبعية هشة، لا تضر ولا تنفع، وأن هؤلاء الأولياء من دون الله هم أشبه بالعنكبوت في الضعف، وولايتهم مثل بيت العنكبوت في الهشاشة والضعف، القابل للتمزيق والتبديد عند أدنى ملامسة، ذلك أن بيت العنكبوت عبارة عن نسيج من خيوط دقيقة، شفافة واهية، لا يكاد اللمس يقاربها، أو الريح تهب عليها إلا وتتمزق، وتذهب أدراج الرياح، فلا تحمي العنكبوت، ولا ترد عنه غائلة العوارض.

وكما هي حال بيت العنكبوت وهنا وضعفا، كذلك هي حال القوى التي يلجأ إليها الناس طلبا للدعم والمساندة، والتي يجعلونها عونا لهم لتمدهم بأسباب القوة. ولو علم هؤلاء الذين يلجئون إلى تلك القوى الهشة، أن القوة التي يستمدونها منها هي عرضة للزوال في كل حين، عندما يأتيها أمر الله، لما طلبوا العون إلا من الله، ولما لجئوا إلا إليه سبحانه، ومن ثم لن يعبدوا إلا إياه، الذي هو ولي الأمر والتدبير.

فهذا المثل القرآني يضربه سبحانه لبيان تفاهة وهشاشة الآلهة المتخذة من دونه، سواء أكانت هذه الآلهة غيبية أم مشهودة، وسواء أكانت حسية أم معنوية، وسواء أكانت أرضية أم سماوية، مبينا أنها مهما علت واستطالت فهي آلهة موهومة لا تضر ولا تنفع، ولا تملك ولا تدفع. إنها أشبه بضعفها وهزالها ببيت العنكبوت، ذلك البيت الذي لا يكاد يستمسك بنفسه، وهو معرض للهلاك والزوال لأدنى عارض طبيعي أو بشري.

بطلان الشرك

وهذا المثل تفسير وتبيان لقوله تعالى: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) (مريم:81ـ82)، وقوله سبحانه: (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) (يس: 74ـ75)، وقوله عز وجل: (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) (هود: 101). قال ابن القيم: «فهذه أربعة مواضع في القرآن، تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا، يتعزز به، ويتكثر به، ويستنصر به، لم يحصل له به إلا ضد مقصوده. وفي القرآن أكثر من ذلك. وهذا من أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده».

فجدير بالمؤمن الحق أن يعي هذه الحقيقة، التي ترد القوة لله جميعا، ويعمل بهديها، ويعلم أن البشرية بأسرها، واختلاف قواها سوف تبقى تتخبط بمشاكلها ومآسيها، وسوف تزداد أحوالها سوءا، كلما بعدت عن سنن الله، حتى تصل في النهاية إلى ما ينذر الناس بالعذاب، من غير تفريق بين من يدعون القوة، وبين من يسيطر عليهم الضعف.

وجدير بأصحاب الدعوة إلى الله، الذين يتعرضون للفتنة والأذى، وللإغراء والإغواء، أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الساطعة، ولا ينسوها لحظة، وهم يواجهون القوى المختلفة، بأشكالها كافة، ومسمياتها المتعددة. هذه تضر بهم، وتحاول أن تسحقهم، وتلك تستهويهم، وتحاول أن تشتريهم. وكل تلك القوى ـ عند التحقيق والتدقيق ـ خيوط العنكبوت في حساب الله، وفي حساب الإيمان، حين تعرف حقيقة تلك القوى، وتحسن التقويم والتقدير.

وحقيقة أخرى يؤكدها هذا المثل القرآني، وهي أن اللجوء إلى قوى بشرية أو غير بشرية، وطلب العون منها، إنما مرده إلى جهل الإنسان بالله، وظلمه لنفسه، وقد قال تعالى: (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) (الزمر: 67)، وقال سبحانه في وصف الإنسان: (إنه كان ظلوما جهولا) (الأحزاب: 72).

(كمثل الذي استوقد ناراً)

قال تعالى في حق المنافقين: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم) الى قوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير).

فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلا ناريا ومثلا مائيا لما في الماء والنار من الاضاءة والاشراق والحياة فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة.

وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي انزل من السماء متضمنا لحياة القلوب واستنارتها ولهذا سماه روحا ونورا، وجعل قابليه احياء في النور ومن لم يرفع به رأسا اموات في الظلمات.

واخبر عن حال المنافقين بالنسبة الى حظهم من الوحي انهم بمنزلة من استوقد نارا لتضيء له وينتفع بها وهذا لأنهم دخلوا في الاسلام فاستضاءوا به وانتفعوا به.

وتشبيه الكفار بالمطر المصاحب للظلمة والرعد والبرق وآمنوا به وخالطوا المسلمين ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة في قلوبهم من نور الاسلام طغى عنهم وذهب الله بنورهم، ولم يقل نارهم فإن النار فيها الاضاءة والاحراق، فذهب الله بما فيها من الاضاءة وابقى عليهم ما فيها من الاحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهذا حال من ابصر ثم عمي وعرف ثم انكر ودخل في الاسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع اليه ولهذا قال (فهم لا يرجعون).

ثم ذكر حالهم بالنسبة الى المثل المائي، فشبههم بأصحاب صيب، وهو المطر الذي يصوب اي ينزل من السماء، فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم اشتد عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده واوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من اصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل اصبعيه في اذنيه خشية من صاعقة تصيبه.

من أئمة الفقه والتفسير والحديث

الحاكم النيسابوري

هو الحاكم الحافظ الشهير بإمام المحدثين ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد حمدوية بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع الشافعي والطهماني الذي يرجع نسبه الى ابراهيم بن طهمان.

طلب العلم منذ الصغر باعتناء والده وخاله وأول سماعه للعلم كان في سنة ثلاثين وقد استملى على ابي حاتم بن حيان في سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان اول سماعه وهو ابن تسع ولحق الاسانيد العالية بخراسان، ثم رحل منها الى العراق سنة احدى واربعين وهو ابن عشرين سنة وسافر الى المدينة وحج ثم رحل الى بلاده وله الى العراق والحجاز رحلتان.

سمع الحاكم من نحو الفي شيخ من نيسابور وحدها وسمع بغيرها من نحو الف شيخ فشيوخه لا يحصون كثرة.

ان الحاكم النيسابوري تقلد القضاء بنيسابور وكان الحاكم اماما حافظا عارفا، ثقة، واسع العلم، اتفق الناس على امامته وعظمة قدره ورحل اليه الناس في البلاد لسعة علمه ودراسته واتفق العلماء على أنه من أعلم الائمة الذين حفظ الله بهم هذا الدين.

تفرد الحاكم ابو عبدالله في عصره من غير ان يقابله احد ممن اشتهر بحفظ الحديث وعلله بالحجاز والشام والعراق والري وطبرستان وخراسان بأسرها وما وراء النهر.

قال الحافظ ابو القاسم بن عساكر: يعد من الاشعريين وهو قول ضعيف وان كان كثير من مشايخه يفضلون مذهب الاشعري مثل ابي بكر بن اسحاق الضبي وابي بكر بن فورك وابي سهل الصعلوكي فهذا لا يدل على اعتناقه هذا المذهب.

وحول مصنفاته ذكرت محدثتنا: أنه اتفق له من التصانيف ما لعله يبلغ قريبا من ألف جزء من تخريج الصحيحين والعلل والتراجم والابواب والشيوخ ثم المجموعات مثل معرفة علوم الحديث وتاريخ النيسابوريين وكتاب مزكي الاخبار والمدخل الى علم الصحيح وكتاب الاكليل وفضائل الشافعي والمستدرك على الصحيحين وغير ذلك كثير، حيث بلغت تصانيفه خمسمائة جزء.

عاش الحاكم النيسابوري رحمه الله حميدا ولم يخلف في وقته مثله وقد تعقبه الذهبي في المستدرك واقر الصحيح منه وبين الضعيف وتوفي في ثالث يوم من صفر سنة خمس واربعمائة.

من دعاء الإمام زين العابدين في عيد الفطر

هذا الدعاء منسوب الى الإمام علي بن الإمام الحسين رضي الله عنهما في عيد الفطر.

قال الإمام زين العابدين:

يا من يشكر على القليل ويجازي بالجليل
يا من يدنو الى من دنا منه
يا من يدعو إليه من أدبر منه
يا من لا يغير النعمة ولا يبادر بالنقمة
من يثمر الحسنة حتى ينميها
ويتجاوز عن السيئة حتى يعفيها
انصرفت الآمال دون كرمك بالحاجات
وامتلأ الكون من فيض جودك بأعوية الطلبات
وتفتحت دون بلوغ نعتك الصفات
لك العلو الأعلى فوق كل عال
والجلال الأمجد فوق كل جلال
بابك مفتوح للراغبين وجودك مباح للسائلين
وإعانتك قريبة من المستغيثين
لا يخيب عندك الآملون ولا ييأس من
عطائك الراجون.. ولا يشقى بنعمتك المستغفرون
لا تختم يومي بخيبتي ولا تحرمني من إجابة مسألتي.

أحباب الله

تحمل المسؤولية

فايز الشمري

فايز الشمري يقول: رغم صغر سني الا انني اشعر بالرجولة وتحمل المسؤولية وهذا ما غرسه في والداي حيث انني اساعد اخوتي واشعر بمسؤوليتي تجاههم واراعي الله في دراستي وفي معاملتي مع الناس والاصدقاء والاحباء وهذا ما امرنا به ديننا الحنيف.

ان يشب الفتى على الشهامة وتحمّل المسؤولية وعمل الخير.

التواضع

ايوب عزمي

ايوب عزمي يرى ان صفة التواضع لابد ان يتصف بها كل طفل وان ينشأ عليها لأن رسولنا الكريم ﷺ كان متواضعا وليس متكبرا ويقول: لذلك أتعامل مع زملائي واهلي واصدقائي بكل تواضع ولكن بكرامة وعزة نفس وحسن الخلق.

حيث ان التواضع سمة العظماء ومن تواضع لله رفعه.

حب الناس

يوسف جمال

يوسف جمال يؤكد ان محبة الناس جميعا بجميع جنسياتهم واطيافهم ضرورة حتى يعيش الانسان وقلبه مرتاح وسليم ولا يكمن بداخله حقد على احد ويقول: اصدقائي من العرب ومن الشيشان واحبهم جميعا واصادقهم وألعب معهم ونتبادل الهدايا باستمرار ونذهب رحلات معا.

فالله خلقنا كلنا سواسية لا فرق بين إنسان وأخيه.

حفظ القرآن

احمد صبري

احمد صبري يقول احفظ جزء عم من القرآن الكريم واذهب الى حلقات المسجد بجوار منزلنا لكي احفظ على يد شيخ متخصص لإجادة التجويد وأحكامه وفي البيت امي تراجع لي وتكافئني هي وابي على كل سورة احفظها واتمنى ان اصبح مهندس كمبيوتر.

حتى أفيد مجتمعي والناس كما انني أرى ان دراسة الكمبيوتر تفتح العقل على العالم كله.

زوجات في القرآن

رحمة.. باعت ضفائرها لتطعم زوجها

إنها رحمة بنت ميشا بن يوسف بن يعقوب، الزوجة الصابرة المخلصة لزوجها، التي وقفت الى جواره في محنته حين نزل به البلاء، واشتد عليه المرض الذي امتد سنين عدة، ولم تظهر مللا أو ضجرا، بل كانت متماسكة طائعة محتسبة عند الله.

زوجة نبي الله أيوب عليه السلام، الذي ضُرب به المثل في الصبر الجميل، وقوة الإرادة والاحتمال على ابتلاء الله له واختباره، واللجوء إلى الله، في السعة والشدة.

وكان أيوب عليه السلام مؤمنا قانتا ساجدا عابدا لله، بسط الله له في رزقه، ومد له في ماله، فكانت له ألوف من الغنم والإبل، ومئات من البقر والحمير، وعدد كبير من الثيران، وأرض عريضة، وحقول خصيبة، وكان له عدد كبير من العبيد يقومون على خدمته، ورعاية أملاكه، لم يبخل أيوب عليه السلام بماله، بل كان ينفقه بكثرة، ويجود به على الفقراء والمساكين.

وكان له زوجة طيبة وذرية صالحة، فأراد الله أن يضعه في اختبار صعب بابتلائه بالمحن، فأفقده ماله وأولاده، وضاع ما عنده من خيرات ونعم، بالإضافة إلى ذلك ما أصابه من مرض، فصبر وشكر وكلما كانت تصيبه مصيبة يخر ساجدا لله حامدا شاكرا لله، وظل يذكر الله عز وجل من دون انقطاع.

اشد البلاء

مرت على أيوب عليه السلام الأيام والسنون، يشتد عليه البلاء، إلا انه كان يلقاه بصبر أشد، ومما زاد عليه انقطاع الأهل عنه، وابتعاد الاصدقاء، ولكنه صبر ولم يسخط او يعترض على قضاء الله، وظل محتسبا يحمد الله ويشكره، فأصبح نموذجا فريدا في الصبر والتحمل. كما أعانته زوجته العطوف، على صبره فاظهرت له من الحنان الوفير وسعة الصدر على مرضه وآلامه، وظلت راضية حامدة صابرة مؤمنة، تعمل بعزم وقوة، لتطعمه وتعينه على ما هو فيه وتواسيه.

الصابرة الوفية

وصل بزوجته مبلغ التضحية ان تخدم في بيوت الناس بالأجر، بعد أن كان يخدمها الناس، لتحضر لزوجها الطعام، ثم توقفوا عن استقدامها، خوفا من أن ينالهم ما نال أيوب عليه السلام وتكون حاملة لمرضه فتعديهم، قيل إنها لم تجد أحدا يطلبها للخدمة لذلك باعت لإحدى بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير فأتت به لأيوب، فقال لها: من أين لك هذا؟ فقالت: خدمت به أناسا، فلما كان الغد لم تجد ما تطعم به زوجها فباعت الضفيرة الأخرى بطعام فأتته به فانكره وحلف ألا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام؟ فكشفت رأسها فلم يجد ضفيرتيها، فحلف ان يضربها مائة سوط إذا شفي.

الزوجة المؤمنة

وفي رواية أخرى عن سبب توعده لها بضربها مائة سوط: إنها كانت تخدمه في حالة مرضه، فلما اشتد به البلاء وطالت به المدة وسوس اليها الشيطان، الى متى تصبرين، لماذا يفعل الله هذا بأيوب ولم يرتكب ذنبا أو خطيئة؟ فكانت تدفع عنها وساوس الشيطان وتطلب من الله أن يعينها، وظلت في خدمة زوجها أيام المرض سبع سنين وقيل: استمر مرض أيوب عليه السلام 13 أو 18 عاما، حتى طلبت منه أن يدعو الله بالشفاء، فقال لها: كم مكثت في الرخاء؟ فقالت: ثمانين. فسألها: كم لبثت في البلاء؟ فأجابته ثمانية عشر عاما.

فقال: استحي أن اطلب من الله رفع بلائي، وما قضيت منه مدة رخائي، ثم أقسم أيوب، حينما شعر بوسوسة الشيطان لها، أن يضربها مائة سوط، إذا شفاه الله على دخول وساس الشيطان به. رواية ثالثة قيل فيها: ان امرأة ايوب اخبرته انها لقيت طبيبا في الطريق عرض أن يداوي أيوب إذا رضي ان يقول انت شفيتني بعد العلاج، فعرف أيوب ان هذا الطبيب هو ابليس، فغضب وحلف ان يضربها مائة ضربة.

الصبر الجميل

وبعد طول صبر، توجه أيوب إلى ربه ليكشف عنه ما به من الضر والسقم (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) سورة الانبياء: آية 83، فأوحى الله إلى أيوب أن يضرب الأرض بقدمه، فامتثل لأمر ربه، فانفجرت عين ماء باردة فاغتسل منها، فشفي بإذن الله، فلم يبق فيه جرح إلا وقد برئ منه، ثم شرب شربة فلم يبق في جوفه داء إلا خرج، وعاد سليما، ورجع كما كان شابا جميلا، قال تعالى (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) سورة الانبياء: آية 84.

نظرت زوجة أيوب عليه السلام إليه، فوجدته في أحسن صورة، وقد أذهب الله عنه ما كان به من ألم وأذى وسقم ومرض، وأصبح صحيحا معافى، وأغناه الله، ورد عليه ماله وولده. قال تعالى: (وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا) سورة الانبياء: اية 84، قال الرازي: الأقرب في تفسيره ان الله تعالى متعه بصحته وبماله وقواه حتى كثر نسله وصار أهله ضعف ما كان.

ومن رحمة الله بهذه الزوجة الصابرة الرحيمة أن أيوب عليه السلام عندما عافاه الله، أمره أن يأخذ عرجونا فيه مائة شمراخ (عود دقيق) فيضربها ضربة واحدة لكي لا يحنث في قسمه وبذلك يكون قد بر في قسمه، جزاء ورحمة له ولزوجه على صبرهما على ابتلاء الله فقال تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) سورة ص: آية 44.

القدوة

وقد جعل الله عز وجل أيوب عليه السلام أسوة وقدوة لكل مؤمن ابتلي في جسده أو ماله أو ولده، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر واحتسب حتى فرج الله عنه. قال النبي ﷺ: «بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد (جماعة من الجراد) من ذهب، فجعل يحثي (يأخذ بيديه) في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى يا رب، ولكن لا غنى لي عن بركتك» رواه البخاري.

لذلك يضرب المثل بأيوب عليه السلام في صبره وفي بلائه، وروى أن الله يحتج يوم القيامة بأيوب عليه السلام على أهل البلاء. وتكريما لهذه الزوجة يُضرب بها المثل أيضا في صبرها على مرض زوجها وشدة إخلاصها وحبها وتضحيتها بكل ما لديها من أجله ووقوفها إلى جواره من دون أن تكل أو تشكو.